يكون مؤمناً ذاكراً لله ـ عز وجل ـ، ناصحاً لنفسه ولإخوانه المسلمين يكون قد تربى في الحج على العبادة، وعلى الطاعة، وعلى كف اللسان، وعلى محبة الخير، ومحبة المسلمين، يكون الحج منطلقاً ومدخلاً له إلى الخير ومدرباً له على الطاعة، إلى أن يلقى ربه ـ عز وجل ـ. ثم ينبغي للحاج أن يلازم تقوى الله ـ عز وجل ـ، فلا يكون مطيعاً في وقت الحج فقط، وإنما يلازم طاعة الله في كل حياته وفي منصرفه من الحج، وإذا ذهب إلى أهل بلده يقبل عليهم بالخير والنصيحة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقدم على بلده وأهله خير مقدم يعلمهم ويذكرهم، يرجع وقد لان قلبه وصلحت أعماله، وتاب إلى الله ـ عز وجل ـ، فيلازم عبادة الله والمحافظة على الصلوات الخمس، وأداء الفرائض، لأن بعض الناس إنما يقبل على الله في موسم الحج فقط، ويظن أن الحج يكفر عنه كل ما فعل ويفعل، نعم الحج يكفر الله به الخطايا، ولكن إذا استمر الإنسان على طاعة الله، أما إذا رجع للمعاصي والذنوب بعد الحج فهذا يفسد حجه، لأنه لا دين لمن لا صلاة له ولا تقبل الأعمال مع إضاعة الصلاة، لكن الذي يرجى له الخير هو الذي استمر عل طاعة الله، وداوم عليها إلى الممات، هذا هو الذي يرجى له الخير والثواب وقبول الحج، وسائر الأعمال، أما من يحج ثم إذا رجع ضيع دينه وضيع صلاته وضيع طاعة الله ـ عز وجل ـ ويظن أن الحج يكفي، هذا غرور وخداع من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء، فيتبع الحسنة بالحسنة ولا يتبع الحسنة بالسيئة، فأن هذا من الخساره، وهذا كالذي يبني البنيان فإذا أقامه هدمه، الله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]. فلا تغزل ثم تنقض، ولا تبني ثم تهدم، بل واصل البناء وواصل العمل الصالح، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. اليقين يعني: الموت وليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

فعلينا جميعاً التواصي بالحق والتواصي بالصبر على طاعة الله ـ عز وجل ـ،

والتناصـح والتعاون على البر والتقـوى، وأن يكون هذا الحج منطلقاً لنا إلى الخير، ويكون هذا الحج مبدأ خير ومنبهاً لنا لاستدراك بقية حياتنا لطاعة الله ـ عز وجل ـ، حتى نحظى بحسن الخاتمة والوفاة على الإسلام.

وفـق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •

٢٦ ـ درس في الوصية بالتمسك بالإسلام بعد الحج إلى الممات

بسـم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فـي هذا اليوم(١)، من أراد أن يتعجـل فإنه يرمي الجمرات الثلاث، ويخرج من منى قبل غروب الشمس، ويكون بهذا قد أنهى حجه، ومن أراد أن يتأخر ويبقى في منـى يبيت فيها هذه الليلة ويقيم فيها صباح الغد(٢)، ثم يرمي بعد الظهر فيكون قد استكمل أيام التشريق وتأخر.

والله جـل وعلا يقول: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقـرة: ٢٠٣]. التأخـر أفضل وهو الذي فعله النبي ﷺ. فإنه تأخر ونفر في اليوم الثالث عشر.

ولكـن على الجميع من تعجل ومن تأخر، أن يختم بالاسـتغفار والتوبة إلى الله ـ سـبحانـه وتعالى ـ، وأن يواصل الطاعة والعبادة بعد الحج إلى آخر عمره وآخر أيامه، إلى أن توافيه منيته وهو مستقيم على طاعة الله ـ عز وجل ـ، ولا يقتصر على الحج، ويظن أنه يكفي، ويضيع بقية أركان الإسـلام، إنما الحج الركن الخامس من أركان الإسـلام، وقبله أربعة أركان، عليه أن يحققها، وكذلك الإسلام هو مجموع الطاعات التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ ومجموع المنهيات التي نهى الله عنها ورسوله فيتجنبها.

هذا هو الإسـلام، وليس الإسـلام أنه يأخذ بعضها ويترك البعض الآخر، يأخذ

---

(١) أي اليوم الثاني عشر.

(٢) أي اليوم الثالث عشر.

الحـــج ويترك الباقي، هذا ليس له حج، الدين كلـــه لله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الســـلم معناه: الإســـلام، أي خذوه جميعاً، ولا تأخذوا بعضه وتتركوا بعضه، فعلينا أن نتذكر هذا، أن الحج إنما هو ركن من أركان الإســـلام، وقبله أركان أربعة، وهناك أوامر ونواهي يمتثلها المســـلم ويداوم على طاعة الله وعبادته إلى آخر حياته، فالمسلم مادام في هذه الدنيا فهو مكلف بطاعة الله ومأمور بها ومنهي عن المعاصي، وليس في أيام الحج فقط، وإنما في جميع أيامه التي كتبها الله له في هذه الدنيا.

فعلينـــا جميعاً وعلى جميع المســـلمين الحجـــاج وغيرهم التمســـك بطاعة الله، وبالإســـلام شريعةً وعقيدةً وعبادةً وأخلاقاً ومعاملةً، ومن جميع النواحي، فإنه دين كامل كما قـــال الله جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فهو دين كامل وشامل، فلا يأخذ بعضه ويترك البعض الآخر وهو يستطيع، بل يأخذ الإسلام كله ويأتي منه ما يســـتطيع والذي لا يســـتطيعه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

هـــذا وبالله التوفيق وصلى الله وســـلم علـــى نبينا محمد وعلى آلـــه وأصحابه أجمعين.

• • •

٢٧ـ درس في منافع الحج

بســـم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وســـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الله ـ ســـبحانه وتعالى ـ علل تشـــريع الحـــج فقـــال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحـــج: ٢٨]. فالحج فيه منافع عظيمة، والله ـ جل وعلا ـ لم يحددها لأنها كثيرة، والنـــاس يختلفون في تحصيل هذه المنافع، فمنهم من لا يحصل من هذه المنافع على شيء، ومنهم من يحصل على منافع كثيرة، ومنهم من يحصل على منافع قليلة.

فهذا الحج عبادة عظيمة فيها منافع يمتاز بها عن ســـائر العبادات، مع أن العبادات كلها فيها منافع، ولكن الحج بالذات منافعه أكثر؛ لأنه العبادة التي يجتمع لها العالم الإســـلامي من أقطـــار الأرض في مكان واحد، ويؤدون مناســـك واحدة تجمعهم، ويتزيون بزي واحد وهو الإحرم، ويتســـاوون في المنازل في عرفة وفي مزدلفة وفي منى، لا فضل لهذا على هذا.

ولأنهم في مســـجد واحد وهو مكان المناسك، والله ـ جل وعلا ـ جعل المسجد الحرام للناس ســـواءً العاكف فيه والباد، وتوعد من يـــؤذي الناس فيه أو يمنعهم من بعض مناسك الحج أو أمكنته، بأن الله يذيقه عذاباً أليماً، مما يدل على أن هذا الحج فيه منافع عظيمة ومنها:

أولاً: اتحاد جماعة المســـلمين من أقطار الأرض، وتعاونهـــم فيما بينهم وتآلفهم فيمـــا بينهم، وتبادل العلم والفقه فيما بينهم، وذلك بالســـؤال والتلقي من العلماء، ويرجـــع الحـــاج متفقهاً في دينه متبصـــراً في عقيدته؛ لأنه يتعلـــم من الحج، يتعلم العقيـــدة، يتعلم أداء العبـــادات، الصلاة وغيرها، فهو يصلي في هذه المشـــاعر في المسجد الحرام مع إخوانه المسلمين، ويرى كيف يؤدي المسلم الصلاة خالية من البدع

والشـــركيات، صلاة خالصة لله ـ عز وجل ـ، فإذا ذهب إلى بلدة استمر على أداء هذه الصلاة على الصفة التي رأى عليها المســـلمين في هذه المشاعر، ويحافظ عليها؛ لأنه رأى المسلمين يحافظون عليها في أوقاتها، فيتعلم الاهتمام بالصلاة بعد الاهتمام بالعقيدة، لأنه حينما يلبي يقول: «لبيك لا شـــريك لك»، هذا نفي للشـــرك؛ لأن الله ليس له شـــريك في عبادته كما أنه ليس له شـــريك في ربوبيته وملكه، وليس له شـــريك في أســـمائه وصفاته، فهو يتعلم العقيدة ويصرح بذلك، بأن الله لا شريك له، فيتعلم أن الشـــرك باطل وأنه منفي وأن المســـلم يتبرأ منـــه من أول كلمة يقولها حينما يحرم: «لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك لا شريك لك»، ثم يتعلم الصـــلاة والمحافظة عليها، ثم يتعلم الإكثار من ذكر الله بالتهليل والتكبير والتحميد، ويتعلم أن هذه المناسك إنما هي تربية للمسلم، وتصحيح لأخطائه وسلوكه، أو زيادة في علمه وتبصره، ولو بقي في بلده وبقي كل مسلم في بلده ولم يحصل هذا اللقاء لبقي الجاهل في جهله، وبقي الذي عنده ســـوء اعتقاد على ســـوء عقيدته، فهذا من حكمة الله أن المسلمين يلتقون فيتعلمون أمور دينهم عملياً، ثم يرجعون وقد تعلموا، وتعلموا أيضاً المحبة بين إخوانهم المسلمين، أن المسلم أخو المسلم فيزول ما كان من الفرقـــة والإختلاف، فيزول ما كان من جهل بعضهم لبعض، أو عدم معرفة بعضهم لبعض، فهذا من منافع الحج.

ثانياً: أن المسلم يستفيد من ناحية دنياه من بيع وشراء، يقدم بسلع ويبيعها ويشتري قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. المراد بذلك: البيع والشراء أو التأجير، يؤجر نفسه للعمل أويؤجر سيارته، فهذا من طلب فضل الله وهو الرزق، ليستعين بذلك على طاعة الله، ويستفيد من ذلك أيضاً طلـــب الرزق من الوجه الحلال، وعدم الغش وعدم الكذب في معاملته، يســـتفيد كذلك العطف على إخوانه المحتاجين والضعفاء والمســـاكين، يســـتفيد كذلك الرحمة بالمرضى والضعفة والمســـاكين وكبار السن، لأنهم إخوانه وآباؤه وأبناؤه، وهو عضو

من هذا المجتمع الإسلامي الكبير كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[(١)]، وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»[(٢)].

فيستفيد المسلم من هذا الحج العطف والرحمة على إخوانه الضعفة في أبدانهم والضعفة في أموالهم.

كذلك يستفيد المسلم من هذا الحج التواضع لله ـ عز وجل ـ؛ لأنه إذا رأى الملوك والرؤساء والأثرياء والتجار، كلهم يشاركون إخوانهم المسلمين، لا ميزة لهذا على هذا، يشاركونهم الوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة وفي منى ورمي الجمار والطواف والسعي بين الصفا والمروة، لا فرق بين هذا وهذا حتى في الزي، فيتعلم من ذلك عن الإسلام ومساواته، فهم في الظاهر سواءٌ في أداء العبادات في أوقاتها وصفتها، وإنما كلهم سواءٌ أمام الله كلهم فقراء إلى الله ـ عز وجل ـ.

ويستفيد من هذا أن الإسلام دين العدل والمساواة، أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فهم من حيث الظاهر سواء، وهذا هو المقصود في أن المسلم يعرف عدل الإسلام، وأن الإسلام جاء للتسوية بين المسلمين، أما من حيث الباطن والقلوب فهم يتفاوتون، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالحاصل أن المنافع التي في الحج ليس لها حد محدود والناس يتفاوتون في تحصيلها وفي كثرتها وقلتها.

ومن أعظم منافع الحج، أن الحاج ـ يرجع إذا كان حجه خالياً من الرفث والفسوق ـ كيوم ولدته أمه، قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦).

ولدتـه أمـه»[1]، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. يتعلم المسـلم حسـن السـلوك مع الناس، كمال قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[2]، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومن منافع الحج أن المسـلم يتحمل المشـاق، لأن الحج فيه مشاق من بعد المسافة وطول المدة، وترك البلد وترك الأولاد والأحباب، وفيه الزحام الشديد، وقد يكون الوقت حارّاً، ويترك المسـلم الرفاهية التي كان يعيشـها، ويتربى على القوة وعلى التواضع وعلى التحمل.

الحاصـل أن دروس الحج وفوائد الحج ومنافع الحج لا حصر لها، ولا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

هذا ونسأل الله لنا ولكم ولسـائر المسلمين خصوصاً الحجاج والمعتمرين، القبول والمغفـرة والثبات على الحق، والصبر على التمسـك بالدين إلى أن نلقى الله ـ عز وجل ـ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

● ● ●

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم(١٩٨٧)، وأحمد برقم (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والحاكم (١/ ٥٤)، والدارمي (٢/ ٣٢٣).

٢٨ـ درس في تفسير قوله تعالى:
﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾

بســـم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وســـلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن هذا اليوم هو اليوم الثاني عشـــر من ذي الحجـــة، وهو اليوم الثاني من أيام التشريق وهو يوم النفر الأول قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. تعجل معناه: أنه رمى الجمار الثلاث فيمـــا بين دخول وقت الظهر إلى غروب الشـــمس، من رمى الجمار الثلاث في هذا الوقت الممتد من زوال الشـــمس إلى غروبها، ورحل من منى قبل غروب الشمس، فإنه قد تعجل في يومين ولا إثم عليه، أي: لا جناح ولا حرج عليه في ذلك ويكون قد أكمل حجه بهذين الشرطين:

الشرط الأول: أن يرمي الجمار بعد الظهر أو بعد العصر.

الشـــرط الثاني: أن يرحل من منى قبل أن تغرب عليه الشـــمس، وأما من غربت عليه الشمس وهو لم يرم أو رمى لكنه لم يرحل، فإنه يتعين عليه أن يتأخر، بمعنى أنـــه يبيت إلى ليلة الثالث عشـــر، إلى أن يرمي الجمار بعـــد الظهر في اليوم الثالث عشر، ثم ينفر ويرحل من منى، وهذا هو التأخر وهو أفضل من التعجل، وهو الذي فعله الرسول ﷺ والرسول ﷺ أخذ بالأفضل، ومن تعجل فقد أخذ بالرخصة، ولا حرج عليه، ولكن ينبغي أن نعلم أنه إذا غربت الشـــمس في اليوم الثالث عشـــر فإن وقـــت الرمي ينقضي، وإذا غربت فقد انتهى وقت الرمي، ثم بعد ذلك لا عليك أن تبيت ليلة الرابع عشـــر أو ترحل، فالمبيت في هذه الليلة وما بعدها مباح وليس لك فيه أجر، كما لو بت في أي مكان لأن مناسك الحج انتهت.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ليس المهم أنك تتعجل أو تتأخر، المهم تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، أن تخاف من الله وأن تكمل المناسك على الوجه الذي أمرك الله به، وأن تخلص النية لله ـ عز وجل ـ، هذا هوالمعتبر.

والتقوى: هي فعل أوامر الله وترك ما نهى الله عنه، والاستقامة على دين الله، سمي ذلك بالتقوى من الوقاية لأن هذا يقيك من عذاب الله ومن غضب الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فالتقوى هي فعل ما أمر الله ـ تعالى ـ به وترك ما نهى الله ـ تعالى ـ عنه، طاعة لله وامتثالاً لأمره ونهيه، فمن فعل ذلك فقد وقى نفسه من عذاب الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال ـ عز وجل ـ، مؤكداً هذا المعنى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، كرر الأمر بالتقوى في هذا الموضع، وفي غيره من القرآن الكريم، ويبين الله ما للمتقين من جزيل الثواب والأجر عنده، لأن المطلوب من العبادة هو تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ من العباد، في جميع أمورهم، وفي عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، وفي جميع شؤونهم، أن يراقبوا الله ـ جل وعلا ـ ويتقوه فلا يتركون واجباً ولا يفعلون محرماً.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ اعلموا: تيقنوا أنكم إلى الله ـ جل وعلا ـ تحشرون، تجمعون بعد الموت في صعيد واحد الأولون والآخرون لا يتخلف أحد قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]. يقومون من قبورهم أحياء بعد أن تنبت أجسامهم وتتكامل أعضاؤهم، ثم ينفخ إسرافيل في الصور، وهو القرن الذي فيه الأرواح، ثم تتطاير الأرواح كل روح إلى جسدها ثم يسيرون إلى المحشر قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

ويسيرون إلى المحشر لا يتخلف منهم أحد، أو يهرب أحد، أو يند أحد من الناس، أو يختفي، بل يسيرون إلى المحشر حافية أقدامهم شاخصة أبصارهم من شدة الهول، عراة ليس عليهم لباس، غرلاً يعني: غير مختونين تعود خلقتهم كما

كانت، يســيرون إلى المحشــر ويقفون في صعيد القيامة بين يدي الله ـ جل وعلا ـ ينتظرون الحساب.

والمناسبة في قوله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ في ختام أعمال الحج، أن الحجــاج يتذكرون في اجتماعهم في هذا المكان في مشــاعر الحج في عرفة، في مزدلفــة، في منى، يجتمعون في هذه المشــاعر على اختلاف أجناســهم ولغاتهم، واختلاف بلادهم، يتذكرون الجمع العظيم الذي هو الحشــر، لأن الشــيء بالشــيء يذكر، يتذكر أهل الحج أنهم ســيجتمعون في يوم القيامة اجتماعاً يشــبه اجتماعهم بالحــج، فيســتعدون لهذا الاجتماع الذي لا ينفع فيه مــال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يستعدون لهذا الاجتماع، ويتذكرون في تفرقهم من هذا الاجتماع في الحــج إلى بلادهم، يتذكرون تفرقهم إلــى مقرهم الأخير، مقرهم الذي لا يرحلون منه أبداً وهو الجنة أو النار، ينصرفون من المحشر بعضهم ينصرف إلى الجنة وبعضهم ينصرف إلى النار ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧]. ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝﴾ [الروم: ١٤ ـ ١٦].

يتذكر الحجاج بتفرقهم هذا إلى بلادهم، تفرقهم من مجمع الحشر، إلى منازلهم التي كتب الله لهم الخلود فيها، إما في جنة وإما في نار، فيستعدون.

وإن كنتم وجدتم مشــقة في الحج وتعباً في الحج فاعلموا أن المشــقة والتعب في الحشر أشد من هذا، فعليكم بالاستعداد والتأهب للقاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وكذلك على الحجاج أن يشــكروا الله الذي أكمل لهم مناسكهم، وأتم حجهم، يشــكرون الله على هذه النعمة، وعليهــم ألا يرجعوا إلى الذنوب والمعاصي بعد أن كفرهــا الله عنهم في هذا الحــج، وعادوا مغفوراً لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، عليهم أن يحتفظوا بهذه النعمة وهذه النظافة التي نظفهم الله بها من ســيئاتهم، أن يرجعوا

إلى أهليهم في حال أحســـن من حالهم التي قبل الحج، تائبين إلى الله مقيمين على طاعته، لا يصدر منهم ما يفســـد هذا الحج من الشـــرك بـــالله ـ عز وجل ـ ودعاء غير الله، وعبادة الأموات بالقبور، والتعلق بالأولياء والصالحين، هذا يفســـد حجهم وأعمالهم بل عليهم أن يستمروا على التوحيد.

أنتم رأيتم أن هذا الحج ـ ولله الحمد ـ كله توحيد، ليس فيه دعاء لغير الله، ليس فيـــه قبور وأضرحة يذهب الناس إليها، وإنما يذهبون إلى مشـــاعر الله، يذهبون إلى منى، إلى عرفة، إلى مزدلفة، إلى المســـجد الحرام، يطوفون ويسعون ولا يأتي على ألســـنتهم ذكر لغير الله ـ جل وعلا ـ، يذكرون الله ويوحدونه، رأيتم هذا، هذا هو التوحيـــد، أما من ينصرفون إلى القبـــور والأضرحة ودعاء غير الله، فهؤلاء لا قيمة لحجهم، ولا أثر لتعبهم ولا فائدة يجنونها إلا التعب، فعلينا جميعاً أن نســـتمر على توحيد الله وعبادته وحده لا شـــريك له، ومن كان مبتلىً أو مقلداً في دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله، فعليه أن يتوب إلى الله، ومن تاب تاب الله عليه.

كذلـــك كثير من الناس يتهاونون بالصلاة، أو يصلون صلاة غير الصلاة التي أمر الله بها، يصلون في غير الوقـــت، يصلون متفرقين، يتركون صلاة الجماعة، وترك الصـــلاة كفر بالله ـ عز وجـــل ـ، والتهاون بوقتها أو بالجماعـــة نفاق، فلا يتهاون بالصلاة أو يؤخرها عن وقتها إلا أهل النفاق، فالمتهاونون بأمر الصلاة بين نوعين إما كافر وإما منافق، والكافر والمنافق فـــي النار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

فعلى المســـلم أن يرجع بتوبة خالصة لله ـ عز وجـــل ـ، يرجع بعقيدة صحيحة صافية، يرجع بتوبة من الذنوب والمعاصي، يحسن عمله في بقية حياته، ليكون هذا الحج منبهاً لـــه ومنطلقاً له إلى فعل الخير، ولا يقول: أنا حججت وغفرت ذنوبي، ثـــم يتهاون بالمعاصي، فإن حجه يختل بهذه الذنوب وهذه المعاصي، لا يبقى له فيه أجر، الإنســـان إذا حصل على مالٍ فإنه يحافظ عليه ولا يضيعه، وأهم من ذلك إذا

حصل على المغفرة والعتق من النار، فلا يضيع هذه الميزة العظيمة والمكسب العظيم، فيحافظ عليه بتوحيد الله، بالمحافظة على فرائض الله، بترك ما حرم الله ـ عز وجل ـ، استقم على دين الله إلى أن يتوفاك الله. قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

استمر على عبادة الله حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك، لا تقف عند حد، وتقول حججت وغفرت ذنوبي، ولا عليَّ بعد ذلك أن أعمل ما أشاء لأنه مغفور لي، المغفرة إنما تكون لأهل الإيمان وأهل الاستقامة وأهل التمسك بدين الله ـ عز وجل ـ، ولا تكون المغفرة لمن ضيع دينه، إلا إذا تاب إلى الله واستغفر الله وتاب فإن الله يتوب عليه، لا نقول إن الإنسان يرجع من حجه معصوماً من الذنوب، الإنسان بشر يقع في الذنوب لكن عليه التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، وباب التوبة مفتوح لمن تاب إلى الله ـ عز وجل ـ، وحافظ على طاعة الله واستقام على دين الله وتوفاه الله على عمل صالح، وعلى عقيدة صحيحة فهذا هو السعيد، وحسن الخاتمة لها أسباب، أن يدعو الله بحسن الخاتمة، وأن يستمر على الأعمال الصالحة حتى يأتية الموت، وهو على طاعة الله ـ عز وجل ـ مبتعداً عن معصية الله، فيلحق بالصالحين، ويكون من الفائزين في جنات النعيم.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •

٢٩ ـ درس في بيان أحكام التعجل، وإخلاص العمل لله

بســـم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وســـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذا هو اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، وهو ثاني أيام التشريق ويوم النفر الأول، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقـرة: ٢٠٣]. واليومـــان هما اليوم الحادي عشر والثاني عشر، ومن تأخر يعني: إلى اليوم الثالث عشر، فلا إثم عليه، فالنفر في هذا اليوم يســـمى بالتعجل، ويسمى بالنفر الأول، والنفر في اليوم الثالث عشـــر يســـمى بالتأخر ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ والتأخر أفضل وهو الذي فعله النبـــي ﷺ لكن الله ـ جل وعلا ـ رخص بالنفر الأول تيســـيراً على العباد وتخفيفاً عنهم؛ لأنهم لو بقوا ونفروا في يوم واحد لحصلت مشقة وضيق وزحام، لاسيما مع تكاثـــر عدد الحجاج، والله ـ جل وعلا ـ حكيم عليم، ولكن من أراد أن ينفر اليوم ويتعجـــل فـــلا بد أن يتأخر إلى الظهر، فإذا زالت الشـــمس ودخل وقت الظهر فإنه يرمي الجمرات الثلاث الصغرى ثم الوســـطى ثم الكبرى، أو يرميها بعد العصر، أو فيما بين ذلك، ويخرج من منى قبل غروب الشمس، هذا هو التعجل، أما إن غربت عليه الشمس ولم يرمِ، أو رحل من منى وهو لم يرمِ، فإنه لا يجوز له التعجل، بل يجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر، والرمي في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، وهذه نهاية الأيام المعدودات.

ثم أيضاً أيها الإخوة الواجب على المسلم أن يتقن العمل وأن يتممه وأن يحسنه، حتى يكون مقبولاً عند الله ـ عز وجل ـ، قال الله تعـالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فلا يكون الحج ناقصاً بل يكون تاماً بمناســـكه، وإذا حصل من

الإنسان مخالفة في ترك واجب أو فعل محظور فإنه يتمم ذلك بفدية الجبران سميت جبراناً، لأنها تجبر النقص الذي حصل، وهذا من إتمام الحج، فإذا حصل من الإنسان نقــص في حجه بفعل محظور من محظورات الإحرام، أو بترك واجب من واجبات الحج فعليه أن يجبر ذلك بالفدية، ولا يتــرك هذا النقص بــدون جبــران، ثم أيضــاً إذا وفقــه الله وأتـــم حجه، فإنه يتبع ذلك بالاســتغفار والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ١٩٩ـ٢٠٠]. فيكثر الإنســان مــن الاســتغفار بعد نهاية المناسك، ويكثــر من ذكــر الله ـ عز وجل ـ وشــكره والثناء عليــه وتعظيمه، فإن العبادة تتبع بالشــكر وتتبع بالحمد والثناء، وتتبع بذكر الله وبالاســتغفار؛ لأن الاستغفار يجبر ما يحصل من النقص، قد يكون هناك نقص لا يشــعر به الإنســـان وغفلة منه، فيتدارك ذلك بالاســتغفار، هذا هو شأن المسلم، أيضاً يخاف الإنسان من عــدم القبول فيسأل الله القبول، ولا يعجب بحجه، لأنه لا يدري لعله لم يقبل، لعلــه حصل فيه خلل، أو حصل فيه شيء مــن الرياء، أو من السمعة أو مــن التقصير، فيكون عمله مردوداً، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. وكان الســلف الصالح يعملون العمل ويجتهدون فيه ثم يصيبهم الهم، هل يقبل منهم أم لــم يقبل، وهــذا مذكور في قولــه تعالــى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشــة ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ: «يا رسول الله أهم الذين يزنــون ويسرقــون ويخافــون أن يعذبــوا؟ قال: «**لا يا بنة الصديق، ولكنهم قــوم يعملون الأعمال الصالحة ويخافــون أن تــرد عليهم**»[1]، فــإذا كان هذا شــأن الذين يعملون الأعمال الصالحة يصيبهم الوجل والخوف من الله ـ عــز وجــل ـ ولا يعجبون بأعمالهم ويخافون أن ترد عليهم، فكيف بالذي يعمل

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣١٧٥)، وأحمد برقم (٢٥٢٦٣،٢٥٧٠٥)، وابن ماجه برقم (٤١٩٨).

السيئات والذنوب ولا يخاف.

الواجـــب علينا جميعاً أن نخاف من أن ترد علينا أعمالنا ولنا ذنوب نســـتغفر الله منها، وعندنا تقصير في أداء العبادة نستغفر الله منه، هذا هو شأن المسلم، أنه يعقب العبادة بالاســـتغفار، ويعقبها بالتوبة، ويعقبها بذكر الله ـ عز وجل ـ، ويتبع الطاعة بالطاعة ويواصل العمل بالعمل، ولا يفتر عن ذكر الله وعن طاعته. هذا شأن المسلم دائماً هو في عمل صالح، ودائماً في استغفار وتوبة، ودائماً في خوف من الله ـ عز وجل ـ مع رجاء ثوابه ـ سبحانه وتعالى ـ، يخاف ويرجو، هذا شأن المسلم.

فالـــذي يقتصر على الخـــوف دون الرجاء هذا قانط من رحمة الله، والذي يقتصر على الرجاء دون الخوف هذا آمن من مكر الله، فالمسلم يجمع بين الخوف والرجاء، كما هو شـــأن الأنبياء والصالحين، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، خوفاً من عقاب الله وطمعـــاً في ثواب الله ـ عز وجل ـ، قال تعالـــى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. هذا شـــأن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والســـلام ـ، يخافون الله ـ جل وعلا ـ ويرهبون منه ويرجون ما عنده فيجمعون بين الأمرين، وهذا شأن المسلم.

ثم المسلم إذا أنهى حجه وسافر إلى بلده، فإنه يواصل العمل الصالح، ويواصل الطاعات، ويداوم عليها، ويحافظ على أعماله الصالحة في كل مكان ولا يقول: إنه حَجَّ وغُفِرت له ذنوبه ثم يقصر ويتكاسل عن الطاعة، أو يطلق لنفسه العنان فيتمادى في الذنوب ويقول: إن الحج يكفي فيتبع الحج بالسيئات والأعمال الفاسدة، هذا شأن الخاسرين المغرورين نسأل الله العافية.

الله ـ جـــل وعلا ـ يقـــول: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. أي: اتقى الله ـ ســـبحانه وتعالى ـ، وحافظ على طاعته، وتجنـــب معاصيه، هذا هو المتقي، قـــال ـ تعالى ـ بعد آيات الحج: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

[البقرة: ٢٠٣].

فيجازيكم بأعمالكم، اســتعدوا لهذا الحشــر وهذا الجمع يوم القيامة، استعدوا لذلك تذكروا الحشــر والحساب والجزاء، فاستعدوا لذلك ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦]. الذي انصرف من الحج وهذا شــأنه، ســعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنســـل، يتعدى على الناس، ويتلف أموالهم ويغصبها منهم، ويســـتولى عليها ظلماً وعدواناً، أويكثر من الذنوب والسيئات، فيحصل بذلك تأثير علـــى الأرزاق والمحاصيل؛ لأن الذنوب تجلب العقوبات، وليســـت عقوبات خاصة به بل تكون عامة، يمنع الله بســـببها المطر من الســـماء، ويمنع النبات بسبب الذنوب والمعاصـــي ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الـروم: ٤١]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ الله ـ جل وعلا ـ يبغض الفســـاد والكفر والمعاصي، ويحب الطاعات والعمل الصالح، ويرضى بذلك؛ لأنه ـ سبحانه ـ رحيم بعبادة، لا يرضى لهم أسباب الشقاء والعذاب، وإنما يرضى لهم أسباب الصلاح وأسباب الخير، مع أنه غني عنهم، لكنه يريد المصلحة لهم ويريد الخير لهم رحمة منه سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ إذا نصـــح لا يقبل النصيحة، بل يتمادى في غيه ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ﴾ الكبر والتعاظم في نفسه، فلا يقبل النصيحة ويحتقر الناصح.

هذا شــأن الأشــقياء، أما أهل الخير فإنهم يفرحون بالنصيحـــة ويفرحون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الله جل وعلا: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ﴾ حســبه أي: كافيـــه النار ـ والعياذ بالله ـ، هذا مصيره ولبئس المهاد: الفراش الذي يفترشـــه في النار، مهاده فراشـــه جهنم وبئس المهـــاد. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. أي: يشـــتري نفســـه بأي شـــيء؟ بالطاعة بالعمل

الصالـح، يشـتريها من العذاب ويبيع نفسـه لله ـ عز وجل ـ، كما قال سـبحانه وتعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. نزلت هذه الآية في صهيب رضي الله عنه، لما أراد الهجرة للمدينة، لحق به المشركون ليمنعوه من الهجرة، فهددهم بأنه يحسن الرماية، وأنه سيقتل منهم كل مـن قرب منه، ثم قال لهم: هذه أموالي وهذا بيتي خذوه واتركوني أذهب إلى رسـول الله ﷺ فخرج من مكة ليس معه شيء، ترك ماله وترك منزله وترك كل ما يملك وشرى به نفسه من الكفار. ليهاجر في سبيل الله ـ عز وجل ـ، فتركوه فأنزل الله هذه الآيـة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ وخرج ليس معه شيء إيماناً بالله وتوكلاً على الله ورغبة في الخير، هـذا الفرق بين العباد، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ هذا وعد كريم من الله ـ سـبحانه وتعالى ـ؛ لأن من فعل ذلك فإن الله ـ سـبحانه وتعالـى ـ رؤوف به، وأنه لا يضيع عمله، وافتداءه واختياره لما عند الله على طمع الدنيا وأموال الدنيا.

نسـأل الله ـ عـز وجل ـ أن يوفقنا وإياكم لصالح القـول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •

٣٠ ـ درس في تفسير قوله تعالى:
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الإخوة هذا اليوم هو اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، وهو ثاني أيام التشريق ويسمى يوم النفر الأول واليوم الثالث عشر يسمى يوم النفر الثاني، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والنفر الأول معناه: أن الحاج إذا رمى الجمار بعد الظهر أو بعد العصر من هذا اليوم، فإنه إن شاء أن يرتحل من منى وينهي حجه فله ذلك، سواء أراد السفر أو أراد البقاء في مكة، لكنه إن أراد السفر فلا بد أن يطوف للوداع سبعة أشواط بالبيت قبل أن يسافر، وإن أراد البقاء فله ذلك، لكن إذا أراد أن يسافر ولوبعد فترة فلا بد أن يطوف للوداع ليكمل مناسك حجه، لأن طواف الوداع واجب من واجبات الحج، ونسك من مناسك الحج.

ويشترط للتعجل في هذا اليوم شرطان:

الشرط الأول: أن يرمي الجمار الثلاث بعد الظهر أو بعد العصر.

الشرط الثاني: أن يرحل من منى قبل أن تغرب الشمس، بمعنى: أنه يحمل متاعه من الأرض، يحمله على سيارته ويمشي قاصداً الخروج من منى حتى ولو أدركه غروب الشمس وهو يسير، بأن أمسكه السير ولم يخرج من منى إلا بعد غروب الشمس، فله ذلك لأنه ارتحل، وإمساك السير له بغير اختياره، أما إن غربت الشمس ولم يرحل ولم يحمل ما معه من متاع، فإنه يبقى فيبيت ليلة الثالثة عشرة

ويرمي الجمار في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، أو بعد العصر ويكون هذا أفضل، لأنه استكمل الأيام بالمبيت بمنى، والبقاء فيها والصلوات فيها ورمي الجمار كاملة في الأيام الثلاثة، وهذا هو الذي فعله النبي ﷺ لكن لا يؤخر الرمي إلى ما بعد الغروب؛ لأنه بغروب الشمس يوم الثالث عشر ينتهي الحج، فلا يؤخر الرمي عن غروب الشمس كما في الأيام التي قبله.

ثم أيها الإخوة تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ والتقوى معناها: أن تجعل وقاية بينك وبين عذاب الله، وهذه الوقاية بطاعة الله وترك ما نهى الله عنه، هذه هي الوقاية التي تقيك من عذاب الله، العمل بطاعة الله وترك معصية الله، لا يقيك من النار إلا هذا، وهذه وصية من الله لك في أي مكان كنت، ليس في مكة فقط، بل في أي مكان كنت، ما دمت حيّاً، قال النبي ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت**»[1]، فلا يقول الإنسان مادمت في مكة فأنا اتقي الله، وإذا خرجت من مكة انتهى العمل وفسح لي، لا يا أخي التقوى تلازم المؤمن إلى أن يموت، وهو يتقي الله بفعل أوامره وترك نواهيه في أي مكان.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أي: تيقنوا أنكم إليه تحشرون أي تجمعون يوم القيامة، فاستعدوا لذلك، ولعل المناسبة في ختام آيات الحج بهذه الآية أن الحج فيه اجتماع عظيم وزحام شديد فهو يذكر بالحشر يوم القيامة، الحشر الذي يجمع الخلائق من أول الخلق إلى آخرهم في مكان واحد، فتذكر بهذا الاجتماع وهذا الحشر في مكة في مشاعر الحج الحشر الأكبر، حشر الخلائق جميعاً في صعيد واحد يوم القيامة، الأولين والآخرين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠]. فإذا كنت رأيت هذا الاجتماع العظيم، وهذا الضيق وهذه الزحمات، وقاسيت فيها شيئاً من التعب، فتذكر الحشر الأكبر

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(١٩٨٧)، وأحمد برقم (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والحاكم (١/ ٥٤)، والدارمي (٢/ ٣٢٣).

الذي فيه زحام شـــديد وحر شـــديد وضيق شديد، فاســتعد لذلك بتقوى الله ـ عز وجل ـ، اجعل شعارك تقوى الله دائماً وأبداً والخوف من الله ورجاء الله، مع العمل بالطاعـــة وترك المعصية، والمحافظة على فرائـــض الله، وإصلاح العقيدة، وإخلاءها وتنقيتها من الشـــرك الأكبر والصغر، وإصـــلاح العمل بتنقيته من البدع والمحدثات، فإنك مهما عملت من عمل ومهما تعبت، مادام أنك لم تخلص لله فلن يقبل منك، مادام عندك شـــيء من الشـــرك الأكبر فلن يقبل منك شيء، ولو أخلصت ولم تتبع الرســـول ﷺ بـــل عملت بالبدع والمحدثات فلن يقبل منـــك أيضاً، قال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»، يعني: الزموها ثم قال: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(٢)، أنت لا تتعب نفســـك في شيء لا تنتفع به يوم القيامة، البدعة لا تنتفع بها بل تتضرر بها يوم القيامة، والعمل على الســـنة ولوكان قليلاً فإن الله يضاعفه ويتقبله ويدخلك به الجنة، والعمل وإن كان كثيراً إذا كان على غير سنة الرسول ﷺ فهو هباء منثور، مردود عليك فتذكر هذا ولا تقل الناس على هـــذا أو أهل البلد على هذا، هذا لا ينفعـــك، إذا كنت تعلم أن الناس على خطأ، اجتنب خطأهم، وإذا كانوا على حق فاتبع الحق ولو كان الذي عليه قليلين، أو حتى ولـــم لم يكن عليه أحـــد، مادام هو الحق فالزم الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم، تقول: أخاف الناس يذمونني، خف من الله ـ عز وجل ـ، لا تخف من الناس، وإن نالك أذى من الناس بســـبب تمسكك بكتاب الله وسنة رسوله وترك البدع، إذا نالك أذى فاصبر على الحق، السلف الصالح يقولون: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. اقتصاد يعني: عمل يسير خير من اجتهاد كثير في بدعة، فعليك بلزوم السنة

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨ "١٨").

(٢) أخرجـــه أبو داود برقـــم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابـــن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقـــم (١٧١٤٤)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٥، ٢٤٦) برقم (٦١٧، ٦١٨)، والحاكم (١/ ٩٦)، والبيهقي (١٠/ ١١٤).

ولا تعمل أي عمل حتى تعلم أنه سـنة وأن عليه دليلاً من كتاب الله أو سـنة رسوله ﷺ إذا كنت تريد النجاة لنفسك وأنت كذلك إن شاء الله.

ارجعوا من الحج على أحسن حال، ارجعوا تائبين إلى الله ـ عز وجل ـ محافظين علـى الصلـوات، محافظين على طاعـة الله ـ عز وجل ـ، يكون الحج سـبباً في رجوعكـم إلى الله وتوبتكم إلى الله، وختام أعمالكـم وأعماركم على طاعة الله، يكون الحج سـبباً لاسـتقامتكم، ولا تظن كما يظن كثير من الناس أن الحج يكفي ويكفر كل ما تعمل، لا، الحج إنما هو شـيء واحد من أمور الدين، وهناك أشـياء كثيرة أعظم من الحج.

الصلاة أعظم من الحج، حافظ عليها مادمت حيّاً، قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١﴾ [مـريم: ٣١]. وقـال الله ـ عـز وجـل ـ لنبينا محمـد عليه الصـلاة والسـلام: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجـر: ٩٩]. واليقـين هو: الموت، أي لازم العبادة إلـى الموت، ولهذا قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت، ليس له نهاية إلا الموت.

النبـي ﷺ يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عملـه إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(١)، فعمل المسـلم لا ينقطع إلا بالموت ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعـارج: ٢٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنـون: ٩]. يحافظون عليها لا يصلي أيامـاً ويترك أياماً، أو يصلي وقت الحـج ويتـرك الصلاة بعد الحج، هذا ضياع. الحج إنما هـو نوع واحد من الأعمال وقبله أعمال آكد منه التوحيد وهو إخلاص العبادة لله، اتباع الرسول ﷺ، المحافظة علـى الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، هذا كله آكد من الحج، فلا بد أن تحافظ على أركان الإسـلام الخمسـة، لا بد من هذا مع أركان الإيمان السـته: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، تحافظ على أركان

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

الإســـلام الظاهرة وعلى أركان الإيمان الباطنة، لا بـــد أن تجتمع عندك الأركان كلها أركان الإســـلام وأركان الإيمان، وأعلى من ذلك إذا زاد يقينك وإيمانك بالله، وهذا هو الإحســـان فتعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحســـان معناه: الإتقان، إتقان الشيء وإتمامه فإذا أتقنت دينك فقد أحسنت، وإذا أخللت بشيء من دينك فقد أســـأت، والإساءة ضد الإحسان، والإحسان يكون بينك وبين الله بعبادته وحده لا شـــريك له ومراقبته، ويكون الإحسان بينك وبين الناس بأن تعمل المعروف وتبذل النفع للناس وتكف عنهم أذاك، هذا إحســـان إلى الناس ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]. وإحســـانك بينك وبين نفسك بأن تمنعها من معصية الله وتلزمها بطاعة الله، هذا إحســـان إلى نفسك أنت لا تحسن للناس وتترك نفســـك، أحسن إلى نفسك ثم أحســـن إلى الناس، وليس الإحسان إلى نفسك أنك تعطيها ما تشـــتهي؛ لأن هذا ضرر، الإحسان إلى نفسك أن تلزمها بطاعة الله، وأن تمنعها من معصية الله ـ عز وجل ـ.

فعلينـــا جميعاً يا عبـــاد الله، أن نرجع تائبين إلى الله، محافظين على ديننا، حتى يقبـــل الله حجنا وعملنا، وألا تعتبر أيها الحاج أن الحج يكفي وتترك الصلاة، وتترك الزكاة، وتترك الصيام، ويقال: الحج يكفي، الحج إذا تركت الصلاة بطل.

انتبـــه لهذا، وأشـــد مـــن ذلك إذا حصل منك شـــرك بالله ـ عز وجل ـ، بطلت جميـــع الأعمال، فعليك بالمحافظة على دينك، والاســـتمـــرار على طاعة الله ـ عز وجل ـ، لتجمع مع حجك أعمالاً أخرى من الصالحات حتى تحصل النجاة، ولهذا قال تعالـــى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ والتقوى كلمة عامة تشمل جميع أمور الدين، حافظ عليها وتجنب ما حرم الله عليك، واسأل الله حسن الخاتمـــة، أن يختم الله لـــك بالإيمان ويتوفاك على الإيمان والإســـلام، قال الله عـــز وجـــل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]. والأعمال بالخواتيم، وأنت لا تدري متى الموت؟ لا تدري

في أي ساعة؟ فلتكن على عمل صالح، إذا جاءك الموت وإذا أنت على عمل صالح، تكون خاتمتك حسنة، وأما إذا جاءك الموت وأنت على المعاصي وأنت على الذنوب صارت خاتمتك سيئة والأعمال بالخواتيم، وأنت لا تدري متى يختم لك الموت؟ لا تدري متى ينزل؟ غَيَّبَ الله الموتَ عن بني آدم فلا يدري متى، لأجل ألا يفرط؛ لأنه لو درى الإنسان متى يموت بعد مئة سنة، بعد عشرين سنة، ربما يعطي نفسه الأماني ويتكاسل عن الطاعات، ويقول: معي فرصة إذا لم يبق للموت إلا أيام قليلة اجتهدت وتكون الخاتمة طيبة، من حكمة الله أنه أخفى عنك الموت، حتى تكوت دائماً تتوقع الموت، تكون دائماً متخلصاً من الذنوب والمظالم، على استعداد متى جاءك الموت ليلاً أو نهاراً، مثل المسافر إذا أراد أن يسافر إلى بلد يجمع متاعه ويهيِّئ راحلته ومركوبه ويتهيأ للسفر.

الموت سفر، سفر إلى الآخرة، سفر لا رجوع منه، أما أسفار الدنيا فإنها يمكن أن ترجع ويمكن ألا ترجع، لكن الموت لا ترجع، أكيد أنك لا ترجع، أين تذهب؟ تذهب إلى الحساب، إما إلى جنة وإما إلى نار، وما الذي يؤمنك من هذا؟ ليس عندك من الله ضمان أنك من أهل الجنة، إلا إن اتقيت الله ـ عز وجل ـ وعملت بطاعته، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، لا يضيع أجر المحسنين، وليس عندك ضمان أنك من أهل الجنة، ألَا تخاف أن تكون من أهل النار؟ عليك أن تحتاط لنفسك، تأخذ نفسك بالعزم ضد الكسل والتساهل وخذها بالعزم، نعم لا تكلف نفسك بما لا تطيق أو تشق عليها، ولكن لاتتساهل كن متوسطاً، خير الأمور أوسطها، هذا هو المطلوب توسط واعتدال على الطاعة من غير تشدد ومن غير تساهل مع المداومة على طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، حتى إذا جاءك الموت إذا أنت على عمل صالح، على استقامة.

وفق الله الجميع لصالح القول والعمل، نسأله ـ سبحانه ـ أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل الشرك والمشركين وأن يخذل أعداء الدين، اللهم من أراد الإسلام

والمســـلمين بسوء فأشغله في نفسه ورد كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره إنك على كل شـــيء قدير، اللهم كف بأس الذين كفروا فأنت أشـــد بأساً وأشد تنكيلاً، اللهـــم اجعل كيدهم في نحورهم واكفنا شـــرورهم، اللهـــم ارزقنا العمل بطاعتك واجتناب معصيتك واختم لنا بخير يا رب العالمين، ربنا تقبل منا إنك أنت الســـميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •